نظرات في النفس والحياة

— ٣٠ —

تتمة نظرات السير أرثر هيلبس

للأستاذ ع ش

(٤٣) كثيراً ما يكون المرء حتى من كانت عنده شجاعة خلقية كبيرة أداة يحركها غيره أو قرباناً وضحية على مذبح الخداع كما يحدث في عالم السياسة أو في الحياة اليومية المعتادة وينبغي للمرء أن يمضي في عمله وفكره لا يبغي تمجيداً ولا حسن ذكرى غير آبه لمدح الناس أو ذمهم فإن طاعة الناس ابتغاء مدحهم قد تكون عزيمة لشجاعته الخلقية .

(٤٤) إن الرجل العملي على كثرة مدحه في هذا العصر الحديث كثيراً ما يتقدم بفكرة واحدة غالبة عليه ليهدم مبدأ عظيماً فيكون مثله مثل من يقطع الغيظ وجراءة رباط عقد ثمين لأنه لا يستطيع أن يفك فيه حجراً يعده من الأحجار الكريمة وقد يكون زائفاً غير كريم فينقطع العقد وتنثر حباته وقد تضيع بعض أحجارها الغالية الثمينة .

(٤٥) إن الأسباب التي يتقدم بها اليك انسان لتفسير سلوكه كثيراً ما تغشى رأيه المستتر فيك فانه يتقدم بالأسباب التي يظن أنها توافق أخلاقك وترضيك .

(٤٦) مما يزيد في تواضعنا تتبعنا سلسلة الحوادث الماضية في حياتنا حتى نصل الى السبب الأول فنجد سبب سعادتنا أو تعاستنا هو تفاهم قائم أو تأخر طرفة صغيرة أو أشباه ذلك من الحوادث التي تدل على سخر الحياة إذ أن السعادة أو التعاسة ليست مؤسسة دائماً على أسباب هامة كبيرة .

(٤٧) يشعر الناس بنوع من الغرور والاعجاب بالنفس يدعوهم الى الغرور بشراستهم والاعجاب بقلة أدبهم اذ يحسبون ذلك فضيلة فيهم تجعل الناس تهابهم فيمعنون في الشراسة وقلة الأدب ويعتبرونها ميزة لهم وحقاً .

(٤٨) إن القرد يحاكي لمهارته في المحاكاة والأغنام تحاكي لأنها ليس عندها عزيمة وعقل ولكن الانسان هو المخلوق الذي قد يحاكي الأمر الذي يكرهه وما يعرف أنه خطأ حتى يوم الناس

(٤٩) مما يدل على جلال الصدق وضرورته ان الانسان إذا كذب مرة تحايل بالكذب

مرة أخرى كي يثبت أنه كان صادقاً في المرة الأولى فيمعن في الباطل كي يخفي كذبه ويكون كالحيوان الذي يحفر جحراً عميقاً كي يختفي فيه عن الناس، وعمل الانسان هذا قد يكون سببه الرغبة في الظهور بالكمال أو قد يكون مؤسساً على اعتباره أن الكذب يكروه متساو في شناعته فاذا كذب كذبة صغيرة شفعها بأخرى كي يخفيها، والعاقل من يعرف ان كل انسان به شيء من الباطل فلا يجد داعياً لأن يتورط في الباطل، فيكون شبيهاً بمن يريق الحبر على ثيابه كي يخفي بقعة منه عليها.

(٥٠) إنك إذا أكرمت انساناً وكان اكرامك اياه يجلب لك منفعة ومسرة فانك لا تستطيع أن تنال دائماً اعترافه بجميل ما صنعت، لأنه قد يحمله على تحمل ارادتك المنفعة والمسرة لك، لا نفعه وإكرامه بالجميل الذي صنعت معه.

(٥١) إن الناس كثيراً ما ينفرون ممن لا يخطيء أبداً ويسيئون به الظن، كما ينفر الناس ممن عنده ذلاقة يستطيع أن يثبت بها أنه دائماً على حق.

(٥٢) اذا خدعك من حولك كثيراً فاعلم أنك خليق بأن تخدع، إما لضعفك وتصديقك كل ما يقال لك، وإما لطغيانك وعدم السماح لهم أن يسمعوك ما تكره سماعه.

(٥٣) إن من الضعف أن تخفي عمن تستشيره فيه خشية أن تطلعه على اسرارك التي تود أن تبقى خافية، وأضعف من ذلك أن تأخذ برأيه ونصيحته عند ذلك، لأن رأيه يكون مؤسساً على ما أبديت له دون ما أخفيت عنه.

(٥٤) لا تطلع أحداً على سر قد يضره كتمانه اذا عرف أنه كان يعرفه، فان الحذر كثيراً ما يدعو الى افشائه تجنباً للضرر، ولا تحسب ان طلب العطف والمعاونة يسوغ إطلاعك إياه عليه، ولا تطلع أحداً على سر يزداد عظمة وربحاً بافشائه، فان حب العظمة أو الربح كثيراً ما يغلبان الأمانة.

(٥٥) كثيراً ما يأخذ المرء بالفكرة الشائعة من غير تمحيص أو بحث، ثم يجادل ويدافع عنها بكبر وازدراء كأنه أفنى عمره في تمحيصها وبحثها.

(٥٦) قد يُصر الرجل بعد غضبه على صدق كلمات قالها في حالة فورة غضبه ولم يكن يريد الأخذ بها لولا ذلك الغضب، فيكون مثله مثل من انتقل من حالة هذيان مؤقت الى حالة جنون دائم.

(٥٧) من الغريب أن الناس لا يتفاتلون ولا يتمادون كما يفعلون ذلك في الأمور العويصة الغامضة التي لا ندركها عقولهم مثل أمور ما وراء الطبيعة، مع أن عدم فهمهم إياها كان ينبغي أن يعلمهم التسامح.

(٥٨) ليس في الناس مخدوع مثل من يخدع نفسه لمعرفة نصف خداع المخادع وهو يظن أنه يعرف كل نواياه ومقاصده .

(٥٩) إن كلمة (الناس) كثيراً ما يقصرها المرء على طائفة قليلة حوله أو على إنسان أكثر منه ذرابة ومنطقاً وهذا ما يصنعه اذا فعل صبياً أو قال قولاً يريد تأييده فيقول إن الناس يريدون ذلك أو يفعلونه — وهذا مثل كلمة (الشعب) التي كان المتطرفون في عهد الثورة الفرنسية الأولى يطلقونها على حثالة الرعاع من الباريسيين .

(٦٠) إن عبد العادة القديمة قد يسخر من عبد الأمور المستطرفة الحديثة السارية وكلا الأمرين رق ما دام عقل المرء مغلولا بما يتبع .

(٦١) كثيراً ما مقت الناس من يدعي الفضل ويخافون ممن يحاول الظهور به ويحسبون إن ذلك إساءة اليهم وتحقيراً لهم ، مع أنه قد يحاول بما يظهر به التقرب اليهم وإيناسهم وطلب العطف ونيل الرضا . وقد ننسى أن الرجل قد يقول السخر وتحت ذلك السخر قلب رحيم . كما قد ننسى أن كثيراً من الناس يختلفون هنا قليلين عندنا وسبلة للحكم عليهم .

(٦٢) لكي يمنع الانسان كبح نفسه عن الرذائل من أن يبعث فيه الغرور وما يجره الغرور من الآثام ينبغي أن يتأمل الهاوية التي كان على وشك ان يقع فيها لو أنه لم يكبح نفسه عن الرذائل بدل الشعور بالكبر والغرور واضطهاد الناس .

(٦٣) الصدق هو أهم مظهر من مظاهر أنكار الذات وأكثرها تنوعاً لأنه كثيراً ما يعترض بين المرء وبين ما يحب ، ولكن المرء كثيراً ما يخفي بعض الحق حتى ولو كان صريحاً ببعضه إذ يرى أن إخفاء القليل الذي يعده تافهاً قد يؤدي الى كسب صديق أو يتفادى بإخفائه خسارة يرى أنها عظيمة فيخفيه استهانة بتفاهته ، حتى ولو أدى ذلك الى سوء فهم للأمور ، وقول الحق لا يكون الا بعقل متزن لأن التضليل قد يكون سببه المبالغة التي تكون طبعاً في النفس . أما الاندفاع في القول فهو تضليل غير مقصود ولكن ذلك لا ينقص من ضرره . وقول الحق ينبغي أن يؤدي الى أن يزداد المرء معرفة نفسه كما ينبغي أن يؤدي الى قدره غيره قدراً صحيحاً . ولو عرف الناس نفوسهم للسامح بعضهم مع بعض وبطل الاضطهاد .

(٦٥) إن الطبع يجمع بين الصراحة في القول والحذر والاحتياط من أن يفهم السامع أكثر مما يعني بقوله لا يتهيأ إلا لمن كان سليم المقاصد والأعمال ، وكان يقدر قدراً لطيفاً دقيقاً احساسات غيره . وهذه صفات تدله على ما يجوز أو يحكى عن أمور نفسه وما يجوز أن يتحدث به عن أمور غيره بصراحة مقرونة الى الحذر والاحتياط .